(اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ القائل : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله القائل : (إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان ، أما بعد فيقول تعالى :

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

عباد الله : لو سألنا من هو الرازق ومن هو الرزَّاق ؟ لقيل : الرازق والرزاق واحد وهو الله سبحانه وتعالى ، فهل هما بمعنى واحد ؟ الجواب : ليسا بمعنى واحد ! فالرازق هو الذي يرزق القليل والكثير ؟ أما الرزاق فهو واسع العطاء لذلك من دعاء داوود عليه السلام (اللهم يارزاق البغاث ارزقنا) فما هو البُغَاثْ ؟ البغاث هو فرخ الغراب ، ففرخ الغراب عندما يخرج للحياة يكون لونه أبيض فينفر الغراب منه ؟ لأن الغراب لونه أسود فلمَّا يرى فرخه خرج من البيضة أبيض اللون ينفر منه ، فمن يطعم هذا الفرخ وهو أضعف أنواع الطير كما يقول العلماء ؟ يقول علماء الحيوان : إن الله تعالى يرسل اليه حشرات تدخل فى فيه فيتغذى عليها حتى إذا نبت ريشه الأسود ألفه أبواه فأخذا يغذيانه! فكما قلنا : لو كانت الأرزاق تجري حسب العقول لمات هذا البغاث وماتت البهائم من الجوع لأنها لاعقل لها كعقل الإنسان ! لذلك يأمرنا ربنا بعبادته أولا ثم يبسط الله الرزق لمن يشاء فهو الرزَّاق ذوالقوة المتين فيقول تعالى :

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)

• عندما نتأمل قول الله تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ) نرى بعض الناس يخطئون في معنى العبادة فغير المسلمين يقولون : إن القرآن يقول لأتباعه ما خلق الله الإنس والجن إلا من أجل عبادته في المساجد والصوامع والبعض يقول : ليس للدين علاقة بالحياة فحركة الحياة يجب أن تكون مرتبطة بالمصلحة... نعم لقد خلقنا الله تعالى لعبادته ولكن للعبادة معنى شامل وهي : أنها تشمل كل حركة في هذه الحياة الدنيا ، فهذا المال الذى بين يديك إذا لم يحكمه الدين أفسد فى الأرض...وقس على ذلك كافة الجوارح فحينما نتكلم عن الرزق...فليس الرزق مقصورا على المال ولكن الرزق أشمل من ذلك بكثير فالعلم رزق ، والأخلاق الحسنة رزق ، والعافية رزق ، والشعور بالأمن والطمانينة رزق .

• قد يقول قائل : أليست لى حرية فى الحياة ؟ نعم لك حرية ولكن حريتك ليست على إطلاق بل تقف عند حدود الله وحقوق الآخرين...والدليل على ذلك : الله يأمرنا بالسعي في هذه الأرض لتحصيل الرزق ولكن بشرط الكسب الحلال قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) فإذا استجبنا فتح الله علينا بركات من السماء والأرض قال تعالى : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ) ويقول (وَأَلَّواسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً) فلا تتنزل بركات السماوات والأرض إلابتقوى الله والرزق الحلال ، أما إذا أعرضنا عن ربنا ولم نلتزم بأوامره فى تحصيل الحلال فسيرزقنا أيضا لأنه الذى خلقنا ولكن بدون بركة وليس لنا وجه فى سؤاله ، فهل يليق بنا أن نقول ياربنا اسقنا الغيث...ياربنا أنزل علينا من السماء رزقا...ونحن قائمون على المعاصي والمنكرات ؟ فأنت مأمور بالسعي ولكن بالطرق المشروعة ولو لم تستفد شيئا...بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : (إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ) فإذا سعيت ولم تجد أثرا لهذا السعي فاعلم بأن هذا هو الخير لك ، فالله يرزق عباده بناء على علمه بدليل الحديث القدسي :

(إن من عبادي من لايصلح إيمانه إلا الفقر ولوبسط عليه لأفسده ذلك...)

• فبسط الرزق وتضييقه بقضاء الله وقدره قال تعالى : (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) فقد تكون الأموال أو الأولاد نقمة عليك ستلهيك عن ذكر الله فتحرم النعيم في الآخرة ، قد تجد إنسانا ليست له خبرة باستثمار المال ومع ذلك تراه فى رزق وفير...فلو كانت الأرزاق تجري حسب العقول لماتت البهائم من الجوع لأنها لاعقل لها كعقل الإنسان قد يقول قائل : نرى العصاة وعبدة الشيطان في رغد من العيش...نقول : هذا ما كان يتوهمه البعض...أما اليوم فإن سياسة التقشف تدعو إليها جميع حكومات العالم لماذا ؟ لأن الرزق أصبح قليلا ، ولذلك ففي أوروبا الآن تقوم المظاهرات ضد سياسة التقشف لأن هذه الشعوب التى تعودت على الرفاهية لم تعد تتحمل هذا التقشف ؟ فيعيش العالم اليوم في ضنك شديد ، وفي أزمات اقتصادية وسياسية واجتماعية فما السبب فى ذلك ؟ السبب عندما أبعدوا الدين عن الحياة ، عندما يخالف إبنك المنهج الدراسي للمدرسة فهل سينجح ؟ الجواب : لا...فكذلك فصلهم الدين عن الحياة جعلهم بعيدين عن منهج الله الذى يقول : (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ) .

• فلو أنهم أقاموا شرع الله وساروا على منهج الله فإن الخير يأتيهم من كل مكان من السماء ومن الأرض في هذه الحياة ، لقد أخطأ الغرب حين اتخذ العلمانية منهجا فى حياته وهي فصل الدين عن الدنيا إنه يقضى على نفسه بهذا المنهج ، وقد تأكد لهم الآن بأن هذه المناهج البشرية قد ساقتهم إلى الهاوية بل إن بعد الدين عن الحياة يسبب مشاكل نفسية تؤدى إلى الإنتحار والدليل على ذلك : إن أعظم الدول دخلاً للفرد في العالم هي السويد ومع ذلك فإن أعلى نسبة انتحار موجودة في السويد ، وهذا أكبر دليل على أن المادة وحدها لا تسعد الإنسان أبدا إلا إذا استعملها فيما أراد الله له ، فالدين للدنيا كعجلة القيادة للسيارة...وأمامنا نموذج إسلامي عندما اتجه للعلمانية كان له شأن وعندما تركها كان له شأن آخر...لما كانت تركيا دولة علمانية كانت مثقلة بالديون فلما اتجهت إلى المنهج الإسلامي من خلال الحزب الحاكم شهد متوسط دخل الفرد في تركيا زيادة بنسبة 120% في السنوات الـ 10 الأخيرة تقريبا .

• فالذين اتخذوا العلمانية منهجهم فى الحياة قد ضلوا سبيل النجاة ونحن كذلك فصلنا الدين عن الحياة وذلك بالتسابق على المال فأصبحت حياتنا كلها مرتبطة بالمال...ولذلك أهملنا التفقه في الدين فترتب على هذا الخسران...ولا تظن أخي أن الخسارة أخروية فحسب بل دنيوية أيضا بدليل قوله تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاأَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِاللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) فأنت في ميزان الله خاسر لمجرد أن تفوتك صلاة العصر مثلا ولو امتلكت القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : (مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ) ولم يقف الأمر عند هذا فبعض المسلمين اليوم يسلكون طرقا غير مشروعة فى كسب المال ...ومن كان هذا شأنه فهل يتقبل الله منه ؟ لا...لأن الله طيب لايقبل إلا طيبا ، ولا يتقبل الله ممن لايدفع زكاة أمواله فالذى لايدفع زكاة أمواله مشارك فى قتل الملايين الذين يموتون من الجوع سنويا فيوجد مليار جائع حول العالم بسبب قلة الغذاء ، تجد الواحد منهم وقد أصبح هيكلا عظميا من الجوع يكسوه جلده ، وبالمقابل ترى شعوبا تموت من التخمة وتصاب بأمراض الترف...

• فالذي يسيطر على العالم اليوم هو الخوف كما قال تعالى : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) فى عالم اليوم ترى أقوياء العالم يخافون من الضعفاء بحجة أنهم يقومون بتفجيرات...ولم يسألوا أنفسهم لماذا هؤلاء الضعفاء يفعلون ذلك ؟ الجواب : لأنهم فى حاجة إلى طعام وشراب وكساء وأنتم معشر الأقوياء قد حرمتموهم ثرواتهم باحتلال أراضيهم ، ومن جهة أخرى قد منعتم عنهم حقهم من الزكاة ، فالأمن من الجوع والأمن من الخوف من أكبر النعم لذلك فقد أنعم الله قديما على قريش باكبر نعمتين تفتقدهما البشرية اليوم قال تعالى :
(لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ إِيلاَفِهِمْ * رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)
فاحذر أخى المسلم من شياطين الإنس الذين إذا قلت لأحدهم : هذا حلال وهذا حرام...قالوا لك : خلّيك عايش فى الفقر! فهؤلاء يجمعون من الدنيا ما يكتوون به فى نار جهنم ، كم عنده من عقارات وأطيان وأموال فى البنوك ؟ الملايين! كل ذلك سيكون وقودا له فى النار قال تعالى : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ* يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ) فالمال ليس بكثرته بل برضا الله عنه بدليل قوله تعالى : (قُل لاَّيَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْأَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ) فاحذروا ذلك ياعباد الله لعلكم تفلحون .

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :

(كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)

• فهؤلاء الذين اتخذوا العلمانية منهجهم فى الحياة قد ضلوا سبيل النجاة ، وليس هذا وفقط فسأقرأ عليكم ماكتبه بعض السياسيين فى العالم فالسياسيون فى الغرب يقرون بحقيقة غابت على كثيرين...فهذه شهادة من سياسي حارب قومه هذا الدين فيقول باتريك جيه بوكانان الذى كان مستشاراً كبيراً لثلاثة رؤساء أمريكيين وخاض سباق الرئاسة الأمريكية عن الجمهوريين مرتين في العام 1992 وفي العام 1996 ثم كان مرشحاً لانتخابات الرئاسة عن حزب الإصلاح في العام 2000 يقول : إن الغرب فى طريقه للإنحسار والموت في السنوات القريبة القادمة كنتيجة حتمية لتوغل العلمانية في الجسد الغربي هذا الرجل يتنبأ بأن السنوات القريبة القادمة ستشهد صعود وتنامى المد الإسلامى مقابل إنحسارونهاية للغرب العلمانى وإسرائيل يقول بوكانن في كتابه : (موت الغرب) إن هبوط عدد السكان صار سمة للأمم والحضارات التي تعيش فى حالة إنحطاط أخلاقى...وإذا ما كان هذا صحيحاً فإن الحضارة الغربية ستكون في حالة حرجة...ففي الوقت الذي تضاعف فيه عدد سكان العالم إلى ستة بلايين نسمة في غضون أربعين عاماً توقفت الشعوب الأوروبية عن التكاثر وبدأ عدد السكان بالتوقف بل وفي العديد من البلدان بدأ عدد السكان بالهبوط لماذا ؟ لأنهم فصلوا الدين عن الحياة ، ومن بين الأمم الأوروبية السبع والأربعين هناك أمة واحدة فقط وهي ألبانيا المسلمة كانت وما تزال تحتفظ في العام 2000 بمعدل مواليد كافٍ ليبقيها حية إلى أجل غير مسمى..." لماذا هذه الدولة بالذات ؟ لعدم فصلهم الدين عن الحياة على الأقل لايوجد لواط وهو نكاح المثلية هنا ، ولا سحاق ، ولا إجهاض كما هو مصرح به هنا إلا لضرورة ، أما بقية دول أوروبا فقد بدأت تموت فإنه ببلوغ العام 2050 سوف ينمو عدد سكان العالم بأكثر من ثلاثة بلايين نسمة ليصل إلى أكثر من تسعة بلايين نسمة ولكن هذه الزيادة التي تبلغ 50% من سكان الأرض سوف تأتي بكاملها من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بينما سوف يتلاشى عن ظهرالأرض مائة مليون نسمة من الأصول الأوروبية ، ففي عام 1960 كان السكان الأوربيون يشكلون ربع سكان العالم وفي العام 2000 كانوا يشكلون السُدس أما في العام 2050 فسوف يشكلون عُشر سكان العالم .